أوّلا: تعريف القرآن الكريم

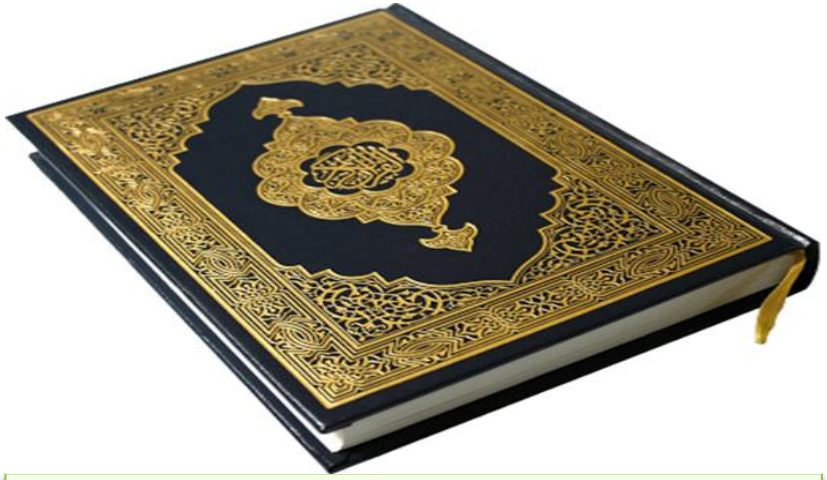

يُعرف القرآن الكريم بأنه :

« كلام الله تعالى ، المنزّل على محمد ﷺ ، باللفظ العربي، المعجِز، المنقول بالتواتر، المتعبّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة ، والمختوم بسورة الناس » .

- وهو المصدر الأساس للتشريع الإسلامي، وفيه هدى للناس ورحمة، وهو ينبوع الحكمة، ومصدر الخير، لا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَق على كثرة الرد.
- وهو هدى الله تعالى للعالمين:

١- أنقذ البشريّة من ظلمات الشرك والوثنيّة إلى نور التوحيد.

٢- ونقلها من التقليد والجمود إلى التحرر العقلي والتفكير الحرّ.

٣- ودعا إلى المساواة والعدل بين البشر، ونبذ التمييز والعدوان والظلم.

٤- وأنشأ جيلاً فريداً، نشر الحق والخير والعدل في كلّ مكان.

وممّا يدلّ على أنّ القرآن الكريم من الله تعالى وليس من عند محمد ﷺ

١- المعهود من سيرته ﷺ عند العرب أنه كان يتميز بالصدق والأمانة، فما كان ليترك الخيانة والكذب على الناس، ويكذب على الله تعالى.

٢- لو كان القرآن من عند النبي ﷺ لنسبه إلى نفسه، وكفاه فخراً أن ينسب إلى نفسه ما عجز العرب والإنس والجن جميعاً عن الاتيان بسورة من مثله.

٣- نقل المسلمون عن النبي ﷺ القرآن الكريم كما نقلوا عنه أحاديثه الشريفة، ولا يصعب على أيّ إنسان أن يتبيّن الفروق الكبيرة بين الكلامين، من حيث الأسلوب والبلاغة والإعجاز، فلو كان القرآن الكريم من عند النبي ﷺ لما نزلت أحاديثه في الرتبة عن رتبة القرآن الكريم، ولما افترق كلامه على درجتين متفاوتتين هذا التفاوت الكبير.

٤- حوى القرآن الكريم أنواعاً كثيرة من الإعجاز، كالإعجاز البياني والإعجاز العلمي، والإعجاز الغيبي، والإعجاز التشريعي، وهي إعجازات لا يقدر على الإتيان بمثلها محمد ﷺ ولا غيره من البشر.

وممّا يدلّ على أنّ القرآن الكريم من الله تعالى وليس من عند محمد ﷺ

٥- ورد في القرآن الكريم بعض آيات العتاب الشديد للنبي ﷺ، ولو كان القرآن الكريم من عند النبي ﷺ لما ضمّنه هذا العتاب، لأنّ الإنسان لا يعاتب نفسه أمام الناس ولا يعلن لهم أخطاءه بهذا الأسلوب الشديد في اللوم والعتاب، ومن أمثلة ذلك :

١- معاتبته ﷺ في قبول الفداء من أسرى بدر .

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ ﴾ الأنفال: ٦٧

٢- ومعاتبته لإعراضه عن عبدالله بن أم مكتوم الأعمى، حيث انشغل النبي ﷺعنه بنفر من زعماء قريش يدعوهم إلى الإسلام.

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠ ﴾

عبس: ١ - ١٠

القرآن الكريم منقول بالتواتر وبرواية العامة

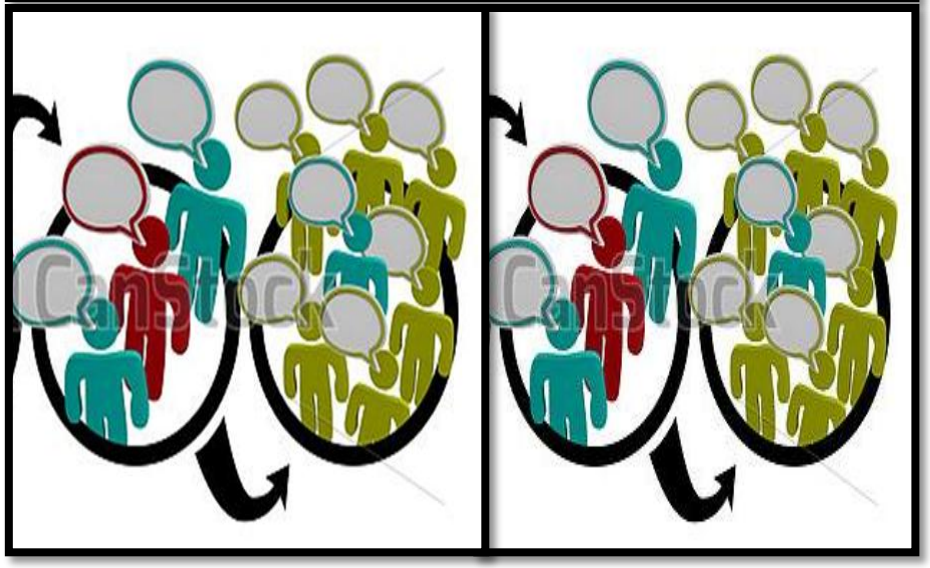

معنى قولنا: تمّ نقل القرآن الكريم عبر العصور بطريق التواتر، بل وبرواية العامة عن العامة (أي الأمة عن الأمة):

« أنّه نقله عدد هائل من الناس في جيل، عن عدد هائل من الناس في الجيل الذي قبلهم، وهؤلاء نقلوه عن عدد هائل من الناس في الجيل الذي قبلهم، وهكذا، إلى أن نصل إلى جيل التابعين، الذين نقلوه عن جيل الصحابة (رضي الله عنهم) ثمّ لا يُخطئ أفراد جيل من المسلمين، على كثرتهم وتباعدهم، في نقل حرف منه» .

القرآن الذي في صدورنا وفي المصاحف التي بين أيدينا هو كما أنزل على محمد ﷺ لم يتغيّر منه حرف أو حركة، ولم تحرّف فيه كلمة واحدة.

بعض الناس قد يشكك أو قد يخطر في باله أنّ القرآن الكريم ربّما حرّف أو غيّر فيه ؟؟؟؟؟؟؟؟

الردّ:

١- هؤلاء لا يدركون حقيقة أن نقل الأخبار والألفاظ بطريق التواتر يفيد العلم اليقيني والقطع بصحة المنقول.

٢- لتوضيح ذلك نضرب المثال الآتي:

- لو أنه جاءك شخص يخبرك أنه رأى شخصاً معيّناً في مكان معيّن وبتاريخ ووقت محدّدين فإنك قد تصدقه وقد تكذّبه.
- ثم إذا أتاك شخص آخر يخبرك بمثل ما أخبرك به الأول وبالتفاصيل ذاتها (وهما لا يعرف كل منهما الآخر لتقول إنّ الأول قد أخبره) فإنك ستزداد ثقة بصحّة ما أخبر به الأول.

تخيّل أنّه تتابع على تأييد الأول والثاني ألوف الأشخاص، كلهم يخبرونك بالخبر ذاته وبالتفاصيل ذاتها ⟸ إنك عندئذ ستحكم قطعاً بصدق ما أخبرك به هذا الجمع الكبير من الناس، لأنه لا يمكن أن يكون صدفة اجتماع مثل هذا العدد الكبير من الناس، والذين لا يعرف بعضهم بعضاً على الإخبار بالخبر نفسه وبتفاصيل دقيقة ومتطابقة، ثم لا يكون ما أخبروا به صحيحاً.

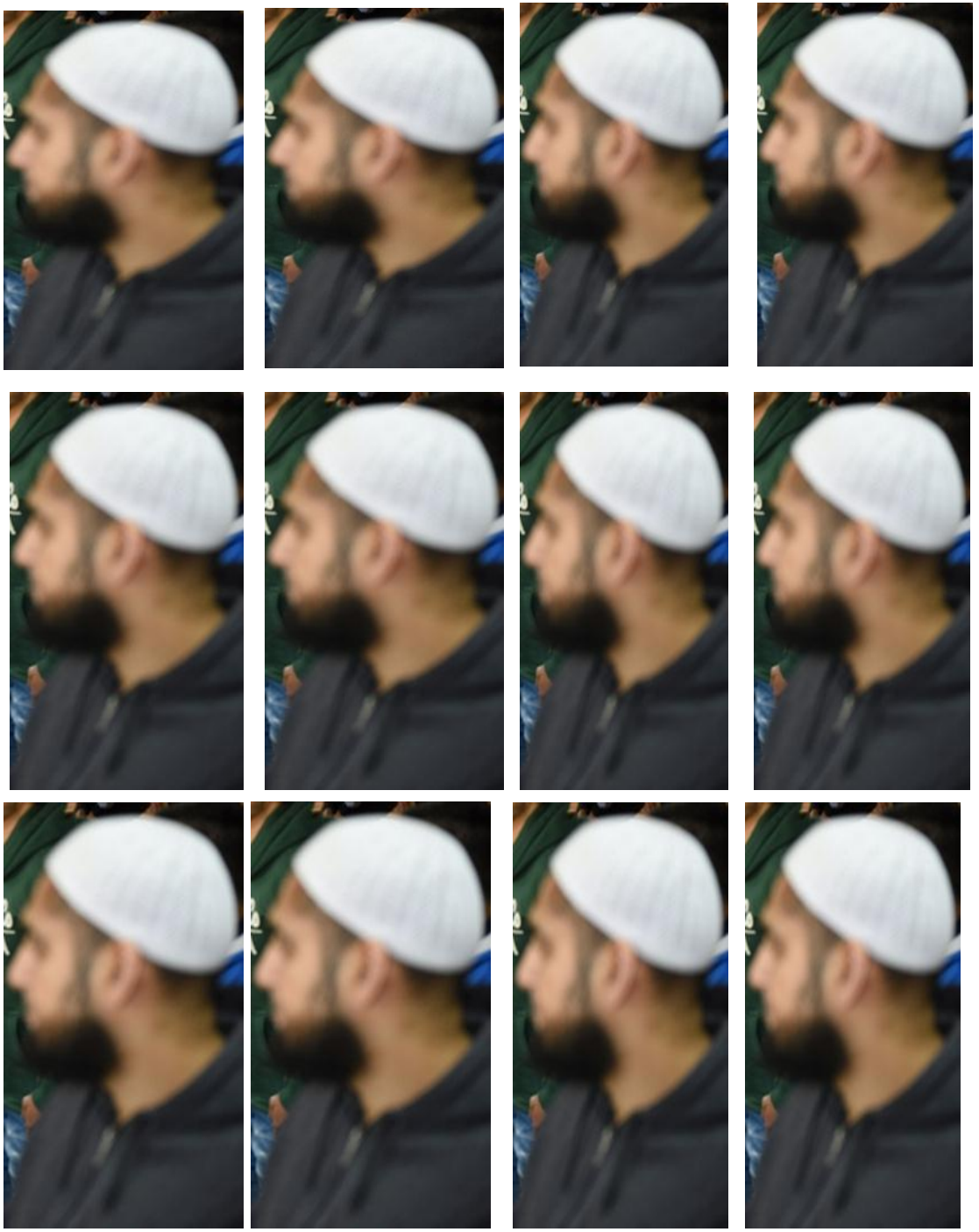

وهكذا القرآن الكريم ...

نقل كل حرف وكل كلمة منه وكل حركة فيه، آلاف مؤلفة من الصحابة رضي الله عنهم، وآلاف مؤلفة من كلّ جيل بعدهم في كلّ عصر.

١- بالكيفيّة نفسها.

٢- وبالتفاصيل والحروف والحركات والكلمات والآيات والسور والقراءات ذاتها.

٣- لا يختلف اثنان من أيّ جيل وفي أيّ عصر في شيء من ذلك، فالعقل يحكم قطعاً بأنّه هكذا نزل دون أيّ تغيير أو تحريف.

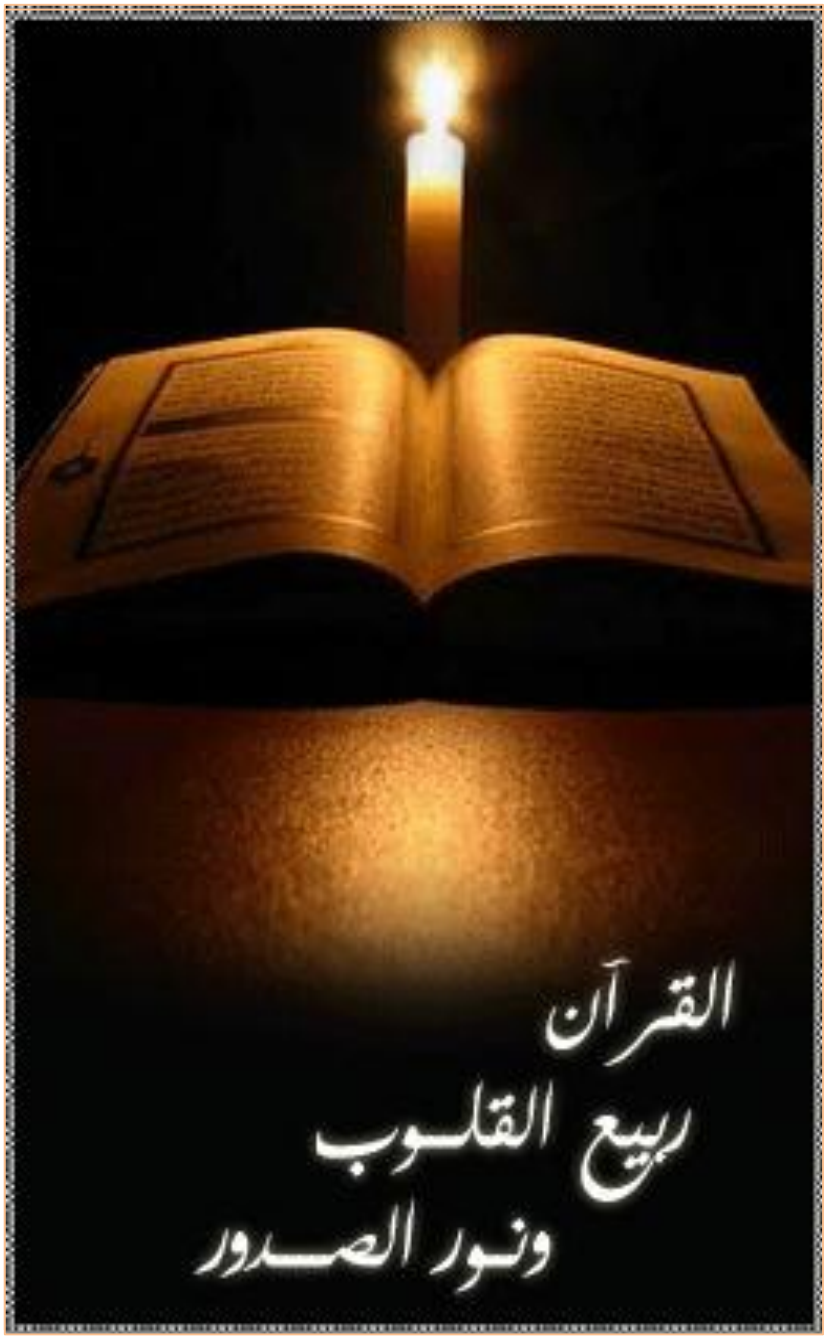

فكر..

إذا أنكر شخص دولة تشاد مثلاً، وأكدّ لنا أن كل الأخبار والصور عن وجودها كاذبة، فإننا نستهجن كلامه ونتهمه بالهذيان، مع أننا قد لا نكون زرنا هذا البلد ولا رأيناه، فما مصدر قطعنا بوجوده ؟؟؟؟

ثانياً: نزول القرآن الكريم

- بدأ نزول القرآن الكريم بوساطة الملك جبريل عليه السلام على قلب النبي محمد ﷺ في ليلة القدر.
- ثمّ استمر بالنزول المتدرّج حسب الحوادث على مدار ثلاث وعشرين سنة.

الفاصل بين المكي والمدني هو الحد الزماني المتمثّل بالهجرة ولا عبرة بالمكان

مكي

قبل الهجرة ولو لم ينزل في مكة

١٣ سنة

مدني

بعد الهجرة ولو لم ينزل في المدينة

١٠ سنوات

٢- الحديث عن العقيدة (كالدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده والبعث والجزاء) والأخلاق الأساسية (كالوفاء بالعهود والبعد عن الفواحش)

٣- بناء نفس مؤمنة تسارع إلى التزام الأحكام العمليّة.
(مرحلة تأسيس)

٤- اتصفت آياتها بالقصر.

٢- الحديث التفصيلي عن التشريعات والتكليفات العملية، (كالمعاملات المالية والعقوبات).

٣- تشريع الأحكام العملية يقتضي وجود دولة تطبقها.
(مرحلة بناء الدولة)

٤-اتصفت آياتها بالطول.

حكمة نزول القرآن الكريم بالتدريج

استشكل الكفار قديماً نزول القرآن الكريم **منجّماً** (أي بالتدريج)، وزعموا انه لو كان من عند الله تعالى لنزل دفعة واحدة ، لانّ الله تعالى قادر على ذلك، بخلاف الإنسان الذي يحتاج إلى وقت قد يطول أو يقصر إذا ما رام تأليف كتاب، فرد الله تعالى هذه الشبهة ببيان حكمتين رئيسيتين لنزوله منجّماً:

١- تثبيت النبي ﷺ وصحابته الكرام

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

٢- التدرّج في التغيير والتعليم

وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا

حكمة نزول القرآن الكريم بالتدريج

أوّلاً : تثبيت النبي ﷺ وصحابته الكرام

فكلّما واجه النبي ﷺ وصحابته الكرام مِحنة أو أذى من المشركين، نزلت آيات من القرآن الكريم تعلّمهم:

١- أنّ الله تعالى معهم ولن يخذلهم.

٢- وأنّ الابتلاء والأذى الذي يلاقيه الأنبياء والدعاة سنّة إلهية.

٣- وأنّ أُمَماً كثيرة قبل قريش قد آذت أنبياءها ومن آمن معهم، وأخذهم الله تعالى بالعذاب ونصر أنبياءه.

النتيجة: تقوى بذلك عزيمة النبي ﷺ وصحابته الكرام، ويخفّف ذلك عنه وعنهم، كما قال تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ ﴾ الفرقان: ٣٢

حكمة نزول القرآن الكريم بالتدريج

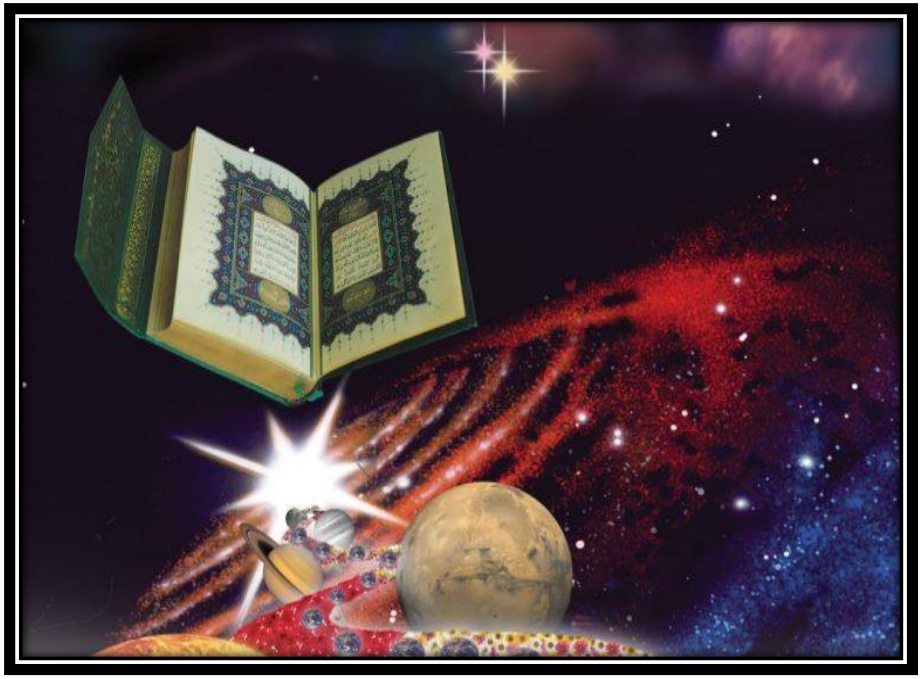

ثانياً: التدرج في التغيير والتعليم

١- إنّ تغيير كل ما كان عليه الناس في الجاهلية دفعة واحدة، من عقائد فاسدة وعادات اجتماعية سيئة **أمر يشقّ على النفوس، وربّما يؤدي إلى رفض الاسلام كلّه**؛ لأنّ تلك العقائد والعادات كانت متأصّلة في النفوس، نشأ عليها الناس وألفوها، **فاقتضت الحكمة أن يغيّر الله تعالى هذه الاعتقادات والعادات بالتدريج ليسهل تركها وتغييرها**، فكلّما حدثت حادثة نزل الحكم فيها.

٢- وذلك أيضاً يسهّل من تعلّم المسلمين في ذلك الوقت للقرآن وحفظه وفهمه وتطبيقه. قال تعالى:

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

الإسراء: ١٠٦